مقدمة الطبعة الثانية

نحمد الله ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونصلي ونسلم على أشرف الخلق سلوكًا وعملا، وقدوة ومثالاً، وبعد:

فهذه الطبعة الثانية من «الورد والهالوك»، مزيدة ومنقحة، بعد نفاد الطبعة الأولى، نقدمها للقارئ الكريم، شهادة على واقع أدبي فسدت أركانه، وتنامي فيه الغش والخداع؛ بحكم عوامل عديدة لا مجال هنا لسردها أو الوقوف عندها، ولكن أبرز الدلائل على الخلل السائد في الحياة الأدبية الراهنة هو ارتفاع الأصوات المنكرة، وكثرة النباتات السامة، وتكاثر الأعشاب المتسلقة.

عندما صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب، كان رد الفعل إيجابيا في الأغلب الأعم، وتفضلت صحف ودوريات عديدة بالكتابة عنه، وأقيمت حوله أكثر من ندوة، وعده الناقد الكبير «محمد مصطفى هدارة» كتاب العام (١٩٩٣)؛ في الاستفتاء الذي أجرته جريدة الأخبار (٢٢/ ١٢/ ١٩٩٣)، كما أشار بعض الكتاب الفضلاء إلى ملاحظات موضوعية مهمة استفدت منها، وكانت الحفاوة بالكتاب بصفة عامة تعبيرا كريما طوق عنقي بالفضل والامتنان لأصحابه وعارفيه.

على الجانب الآخر كان رد الفعل سلبيا، وهو أمر طبيعي؛ لأن الكتاب كشف الزيف، ووضع الأمور في نصابها على غير المعتاد، وكان أمرا لا غرابة فيه أن يقوم أدعياء الساحة الأدبية بهجاء الكتاب وصاحبه، وأن يتدنى أسلوبهم إلى درك سحيق من الإسفاف والابتذال أعف عن الإشارة إليهما، ولكن يعزيني أن البحث تجرأ وهدم الأصنام، وأنصف كثيرا من المظلومين، الذين لا يملكون شبرا في أرض الساحة الثقافية التي يهيمن عليها أصحاب المصالح وجماعات

المنتفعين.. وفي كل الأحوال كنت أتمنى من هؤلاء الذين تدنى أسلوبهم في تناول البحث وصاحبه أن يناقشوه مناقشة علمية تقدم الدليل في مواجهة الدليل، والبرهان في مقابل البرهان، ولكنهم للأسف لم يقدموا دليلا ولا برهانا، واكتفوا بالسب والهجاء، وهو ما يدل على الإفلاس والخواء والتسلق، ويؤكد ما ذهب إليه الكتاب في أحكامه واستنتاجاته، بل يزيده تأكيدا وإثباتًا.

ويهمني في هذا السياق، أن أكرر ما سبق أن قلته من قبل في مناسبات متعددة؛ إنني سأظل وفيًا لمنهجي في كشف الظواهر الأدبية الفاسدة، وتقديم المواهب الحقيقية والمهضومة، مهما كانت النتائج، وأسأل الله جلت قدرته أن يهبني العون والتوفيق، وأن يسدد خطاي على طريق الحق والصواب، فغايتنا في كل الأحوال هي البحث عن الحق والصواب، والإخلاص في هذا البحث، والله خير الشاهدين، وصلى الله وسلم على نبيه محمد بن عبد الله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

حلمي محمد القاعود

الرياض: ٢٥ من المحرم ١٤١٥هـ
٣ من يولية ١٩٩٤م

obeikandl.com

استهلال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد: فإن الواقع الأدبي المعاصر يمتلئ بالكثير من المتناقضات التي أدت إلى اختلال المقاييس والمعايير، نتيجة لتراكمات عديدة، جعلت من أصحاب المواهب الحقيقية بعيدين عن مجال التقدير والإنصاف.. وفي الوقت ذاته، أتاحت الفرصة لأصحاب المواهب الضحلة وطلاب الشهرة أن يحتلوا الواجهة الأدبية، ويلقوا من الحفاوة والدعاية كثيرًا مما لا يستحقونه ولا يستأهلونه..

كان من ضحايا هذا الواقع الأدبي جيل الأصالة من شعراء السبعينيات في مصر الذي عاش بعيدا عن العاصمة، وارتبط بالأمة وهمومها وآمالها، وأخذ على عاتقه تثقيف نفسه بالمزيد من الفكر والقراءة، مع تجويد أدواته الفنية والأدبية.. وفي الوقت ذاته يسعى إلى النشر بقدراته الذاتية، والوسائل المتاحة داخل الوطن وخارجه، وأسفر الدأب والمثابرة عن وجود جيل تنشر له صحف العالم العربي، ولا تتكلم عنه أجهزة الدعاية المصرية، ولا يتناوله النقاد في الصحف السيارة أو الدوريات الأسبوعية والشهرية والفصلية.

من ناحية أخرى، كان جيل من المتسلقين، ومحدودي الموهبة.. يتحالف أفراده، لإرهاب الواقع الأدبي، وفرض وجودهم عن طريق القوة و العلاقات الاجتماعية المريبة، فانفتحت أمامهم وسائط النشر، ووجد بعض أصحاب الهوى فرصة لاستغلالهم لتحقيق مآرب فكرية أو شخصية، فراح يبشر بكتاباتهم الرديئة، ويفرد لها المساحات العريضة داخل الوطن وخارجه، محاولا تسويقها تحت دعاوي وشعارات لا أساس لها في الواقع أو الحقيقة.

هذا الفريق له شكل النبات والزهور، ولكنه لا يثمر ولا يعطي رائحة؛

لأنه يشبه نبات الهالوك الذي ينمو مع الأعشاب الضارة، ويلتف حول النبات المثمر والخصيب، مما يضطر الفلاحين والزراع إلى استئصاله عند العزق وتطهير الأرض.. فهو عالة على غيره، وعائق عن النمو والازدهار. وكان من الواجب الذي يفرضه الضمير الأدبي، تقديم الفريقين -الأصالة والهالوك- إلى الجمهور بطريقة علمية، تكشف ملامح كل منهما، ومعطياته للحياة الأدبية.. ووسيلتنا إلى ذلك النص المكتوب الذي يعد حجة على صاحبه ودليلا إلى أعماق فنه ورؤيته معا. ويضم جيل الأصالة الذي نرمز إليه بـ «الورد» -في مقابل الهالوك- أعدادًا كبيرة من الشعراء يعيشون في ربوع مصر- مدنها وقراها- دون ضجيج أو عجيج، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

أحمد فضل شبلول -حسين علي محمد- جميل محمود عبد الرحمن- صابر عبد الدايم يونس- عبد الله السيد شرف- محمد سعد بيومي- درويش الأسيوطي- عزت الطيري- سعد عبد الرحمن- محمد عبد الفتاح الشاذلي- محمد هاشم زقالي- مصطفى رجب- محمد محمد الشهاوي- فاروق جويدة- محمد عبد العزيز شنب- نشأت المصري- فوزي خضر- أحمد محمود مبارك- عبد اللطيف عبد الحليم- عصام الغزالي- فولاذ عبد الله الأنور- عبد الستار سليم- فوزي فؤاد صالح- أحمد مرتضى عبده- محمود عبد الصمد زكريا- أحمد شاهين- ناجي عبد اللطيف... وغيرهم.

ويحتاج هذا العدد الكبير إلى دراسة ضخمة لا يحتملها هذا البحث، لذا آثرت أن اختار عددا محدودًا منهم يمثل معظم الملامح الموضوعية والفنية لشعرهم، مفترضا أن يكون في خطط المستقبل -إن شاء الله- متابعة قراءة الآخرين، وتقويم أعمالهم الشعرية.

لقد قسمت البحث إلى قسمين رئيسين، أو سفرين كبيرين يتناول الأول شعراء الأصالة، والثاني شعراء الهالوك.. وألحقت بهما نماذج لبعض شعراء

الأصالة الذين لم يتمكن البحث من التوقف عند أشعارهم ليتعرف القارئ عليهم بصورة ما..

اخترت الخمسة الأوائل من شعراء الأصالة للدراسة في السفر الأول من هذا البحث، وركزت على أبرز ظواهر الرؤية والفن عند كل منهم، مستخلصا في النهاية العناصر المشتركة التي تجمع بينهم، وتمثل قاسما مشتركا يدخل في نسيج أشعارهم. والخمسة الأوائل من الذين لا يعرفون أضواء العاصمة، ولا يملكون سنتيمترا مربعا في صحفها أو مجلاتها، ولا يعرفون الطريق إلى منتدياتها ومهرجاناتها، وهم في الوقت نفسه لم يحاولوا الانتماء إلى قبيلة أدبية أو عشيرة ثقافية، تتبنى إنتاجهم وتدعو إليه.

لم أحاول اللجوء إلى تلك الصرعات الغربية العجيبة التي سادت الدرس النقدي على أيامنا، وجعلت منه محاولات طلسمية فيها من التكلف والافتعال أكثر مما فيها من الذوق والإبداع، وصار من يقرأ بحثا نقديًا، و دراسة أدبية يغرق في طوفان المربعات والمثلثات والدوائر والأشكال الهندسية المختلفة، والجداول العديدة التي إن أفادت في بعض الأحيان، فإنها تكون عبئًا ثقيلاً في غالب الأحيان!

كذلك، فإن لغة البحث الأدبي على أيامنا صارت أقرب إلى الجفاف والتقعر الركاكة والرطانة، منها إلى الرواء والفصاحة والبيان والوضوح، وهو ما حفزني على تجاوز الصرعات السائدة واللغة العقيم، وجعلني أنطلق لمخاطبة القارئ مباشرة، محاولاً قدر الإمكان الاقتراب منه، والوصول إلى عقله ووجدانه.

وبالنسبة لجيل «الهالوك»، فقد انصب اهتمامي على أفرادهم الأكثر ضجيجا في الساحة الأدبية والثقافية، وكنت في بداية الأمر أتصور أنه لا داعي لذكر أسمائهم والاكتفاء بتناول الظاهرة الخطيرة التي يمثلونها، ولكني رأيت أن

خطورة ما يقومون به، وفساد النصوص التي ينشرونها على الناس تجعل من الضروري اللازم أن نذكرهم في السياق، ليتحملوا نتيجة ممارساتهم الكتابية والسلوكية، ثم لتحذرهم الأجيال الجديدة التي لا تجد منشورا في الساحة إلا كتاباتهم غالبًا.. ويضم فريق الهالوك كلاً من:

أمجد ريان- أحمد زرزور[١]- عبد المنعم رمضان- رفعت سلام- محمد بدوي- أحمد طه- ماجد يوسف- حسن طلب- محمد عيد إبراهيم- حلمي سالم- وليد منير- جمال القصاص- محمد سليمان- محمد صالح- محمد فريد أبو سعدة.. وكانت تضم هؤلاء أو بعضهم جماعة إضاءة، وجماعة أصوات القاهريّة (وهي غير جماعة أصوات التي ظهرت في الشرقية والغربية).

إن جيل الهالوك امتداد طبيعي لعصر الطغيان والهزيمة والعار الذي هوى بالأمة إلى أعماق الحضيض عام ١٩٦٧ فضيَّع الأرض والعرض، وحوّل الوطن إلى دولة بائسة لم تعرف لهذا البؤس نظيرًا من قبل ولم يكن لهذا الجيل من إنجاز- إن صح أن نسميه إنجازًا- غير الزراية بالذات الإلهيّة، والسخرية من الرموز الإسلامية، وتخريب اللغة والفن جميعًا، ومع ذلك فقد نبت وسط المحنة جيل «الورد» يحمل على عاتقه- في هدوء وثقة- أمانة التعبير والمقاومة.. التعبير عن الواقع بآلامه وآماله، والمقاومة لكل عناصر الطغيان والهزيمة والعار من خلال انتماء واضح وصريح لهوية الأمة وتراثها ومستقبلها، مما سنراه بإذنه تعالى على امتداد صفحات البحث.

يبقى بعد ذلك أن أتوجه بالشكر والعرفان للأخوة الكرام الذين ساعدوني بالتشجيع، وتوفير المادة العلمية اللازمة للبحث، في وقت ظننت فيه أن ظروفي

(١) اتجه أحمد زرزور إلى الكتابة للأطفال، وكنا نتمنى أن يعضد هذا التوجه بالخروج من الدائرة الهالوكية، ولكنه للأسف تمادى بالحديث عن تكريس ما يسمى بقصيدة النثر وأشياء أخرى (راجع السفر الثاني).

obeikandl.com

الخاصة لن تمكنني من ذلك، إني إذ أشكرهم، وأقدّر إصرارهم على التواضع ورفضهم أن أذكر أسماءهم هنا، أدعو الله أن يجزيهم عنا خير الجزاء.

وصلى الله وسلم وبارك على الحبيب المصطفى محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه والسائرين على هداه إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حلمي محمد القاعود

الرياض في: شعبان ١٤١٣هـ
فبراير ١٩٩٣م

obeikandl.com